كيف أقيلت وزارة النحاس

- أحمد ماهر ينفذ رغبات الإنجليز..
- فاروق يقول ليوسف رشاد" حسن ألبنا ضحك عليك !
- ضممنا" الملك: إلى صفوف الأعداء..!
- إخلاص حسن ألبنا..!
- العملاق الذى لا يقهر..!
- الملك يخشى وكيل الوزارة.....

www.anwarsadat.org

فى الساعة الخامسة تماما من مساء 8 أكتوبر 1944، أنقطع صوت الإذاعة المصرية فجأة، وكانت تذيع إحدى الأغاني.. ثم عادت تصدر صوتا كان مألوفا لدى المصرين طول فترة الحرب هو صوت الأستاذ محمد سعيد لطفى، الذى كان مستشارا للإذاعة فى ذلك الوقت..

كان يحمل أمر الإقالة التى وجهها فاروق إلى النحاس لينهى بها عهدا بدأ بدبابات الإنجليز..

وكان واضحا فى صوت مستشار الإذاعة، وفى إلقائه لهذه الإقالة، أنه طروب بها مستبشر.. شمتان!

وكان سهلا على المدركين لحقائق الأمور أن يعرفوا الأسباب التى تدعو مستشار الإذاعة إلى الفرح الشديد بهذه الإقالة، فقد كانت هذه الإقالة بشرى ــ من السماء! ــ هبطت على ذلك الرجل، لتنفيذه من عذاب طويل، وضيق وحرج لا مثيل لهما، عاش فيهما اكثر من عامين ونصف عام..

كانت الحكومة طيلة تلك الفترة تحدى القصر وكان القصر طيلة هذه الفترة يتحين الفرص لأقالتها...

ولو كان الخلاف قائما على أساس دستورى، لكان خلافا فى سبيل مصر.

راس الملك!

ولكن النحاس كان يتحدى الملك، باسم الإنجليز، لا باسم الشعب، ولا باسم الدستور.

والملك كان يحنى رأسه، لانه كان يعلم أنه لا يستطيع شيئا غير الانحناء، حتى تحين الفرصة، ليبطش بهذه الحكومة التى جاءت رغم أنفه، لتذل كبرياءه، وتهدر كرامته!

صورة

وكان الملك قد جرب حظه مرة خلال حكم الوفد.. فأرسل حسين يفاوض كيلرن ليسمح الإنجليز بتغيير وزارة النحاس، فكان الرد الذى تلقاه على ذلك، هو برقية من تشرشل يقول فيها:

- **لا تغيير..**

وسكت الملك، وسكت حسنين، وعلم الوفد بالأمر، فازدادت حكومته صلفا،وبطشا...

والمهم أن هذا الخلاف والتحدى بين الحكومة وبين" الملك" كان مصدر متاعب وحرج شديد لرجل الإذاعة المسئول...

كان الملك مثلا يأمر بإذاعة القرآن الكريم من القصر، فترسل الإذاعة رجالها وآلاتها لاعداد ما يلزم للملك.. وتسمع الحكومة بالأمر فترسل رجالها لسحب آلات الإذاعة.

ويبدأ الحرج، وتبدأ المتاعب، للإذاعة ورجال الإذاعة..

وكان الوفد يقرر القيام برحلات فى الأقاليم، فيأمر الإذاعة بإذاعتها، ويسمع الملك الهتافات والدعايات، فيغضب، ويبلغ غضبه بطريقته المعروفة، لرجل الإذاعة المسكين..

وهكذا، كان على الإذاعة أن ترضى الإنجليز، وأن ترضى الحكومة، وأن ترضى الملك، وكان هذا أمرا، لا سبيل إليه!

فإذا أقال الملك حكومة النحاس، فقد كان من الطبيعى أن يفرح رجل الإذاعة ويستبشر.

وسمعنا هذه الإقالة من الأستاذ محمد سعيد لطفى، وسمعنا بعدها مباشرة الأمر الملكى الصادر بتكليف أحمد ماهر بتشكيل الوزارة ... وكنا فى المعتقل، قد استطعنا أن نحصل على جهاز راديو يسمح لنا باستعماله كلما رضيت عنا أداره المعتقل.

ولا أخفى على القارئ أنى أنا أيضا طربت لهذه الإقالة.. فقد كانت عندى ــ الرد الأول على إنذار 4 فبراير المشئوم..

وفى غمرة هذا الطرب، غفلت عن تحليلها، والتعمق فى مدلولها.

فإن الأمر لم يكن بعد قد ترك الملك يتصرف فيه كيف يشاء.. لابد من مصدر لهذه القوة التى لبسته، حتى أقال وزارة النحاس.. ولابد من اتفاق سابق، وأن التغيير آت من الإنجليز، لا من الإرادة الحرة الملك!

تجاربنا

غفلت عن هذا التحليل، فى غمار النشوة التى بعثتها فينا هذه الإقالة..

وغفلت عنه فى غمار النشوة التى تلتها. إذ أصدر الرئيس الجديد أمره بالإفراج عن جميع المعتقلين.. وبدأت أعد نفسى للحرية...

وكان من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الأمل فى الحرية، وكيف تتزاحم مشروعاتها على الرأس، وتتواثب صورها أمام الخيال...

ولكنى أفقت بعد ذلك بقليل.. أفقت من الآمال، وافقت من الخيالات وافقت من هذا الطرب الذى غمرنى عندما سمعت أقاله النحاس.

فقد رأى أحمد ماهر أن يفرج عن جميع المعتقلين.. ولكنه رأى أن فينا خطرا داهما يهدد النظام العام!

وبدأنا التحليل، وتعمقنا فى سر الإقالة، وتكفلت الأيام بعد ذلك بإفشاء الأسرار!

وبدأت أضيق ذرعا بالمعتقل واصبح وجودي فيه بعد ذلك ضربا من المستحيل.. فوضعت خطة هربى وهربت فعلا، هربت فى الشهر التالى لإقالة النحاس، أى فى شهر نوفمبر 1944...

وبدأت أتصل سرا باخوانى فى تشكيل الجيش، واتصل سرا بالمرحوم حسن ألبنا، وأعمل سرا فى سبيل الحصول على ضرورات الحياة...

أنها فترة طويلة على قصرها، لأنها كانت مغامرة كاملة.. ولعل القراء قد قراؤه طرفا منها بقلم غير هذا القلم.. ولعلى أعود إلى ذكرها يوما من الأيام بالتفصيل.

ولكنى لا أفعل اليوم، وقد حددت لهذه الصفحات المجهولة، خطا تسير عليه، يستهدف الكشف عن الأسرار التى يمكن كشفها من تاريخ التمهيد لهذه الثورة، وتاريخ تجاربنا خلال ذلك التمهيد...

خرجت من المعتقل لاكتشف عددا من الحقائق الجديدة، ولا عرف عددا من الإسرار...

خرجت لاسمع حديث الملك، عندما ذهب يزور تشرشل فى السفارة البريطانية...

وكان حديث عجيبا.. فالرجل الذى ضربه الإنجليز، أو ضربوا مصر كله فى شخصه، لم يكن يخلق به، ولا بكرامة عرشه، ولا بكرامة البلد التى" يملكها" أن يذهب بنفسه لزيارة رئيس وزراء الإنجليز، الذى أصدر أمره بتحرك الدبابات فى قصره وطعنه هذه الطعنة الدامية...

ولكن.. متى كانت لفاروق كرامة، ومتى كان يعرف كرامة لعرشه وبلده...

القوة التى فى الميدان

لقد ظننا هذا يوما.. وكنا فى ظنوننا مخطئين... فالضربة التى أصابت كبرياء مصر من أجل الملك، لم تصب أبدا كبرياء الملك من أجل مصر.. لانه لم تكن له كبرياء.

وخرجت لارى قصر رأس التين، القصر الرسمى الثانى فى البلاد، وقد أمر الملك بتحويله إلى مستشفى عسكرى، لا لجنود مصر وضباطها، الذين حاولوا الموت فى سبيل عرشه

يوم هوجم عرشه، ولكن الجنود الإنجليز وضباطهم الذين تحركوا بالدبابات يحطمون بها باب قصره الأول، فى قلب العاصمة!

وخرجت لارى فاروق قد ترك كل ما كنا رجوه فيه من معانى الشباب والوطنية، وارتمى بين أحضان جنود أمريكا، وضباط أمريكا.. يلعب معهم، ويسهر معهم، ويقوم برحلاته معهم، ويلهو فى لياليه معهم... وكأنه رأى فيهم الجدار القوى الذى يستطيع الاستناد إليه، أن تخلى عنه الإنجليز!

وخرجت لأعرف السر فى كل هذا.. فقد سيطرت على الملك روح من الرعب الشديد من ذلك اليوم الذى اقتحم فيه قصره بالدبابات والمدافع.. ورأى فيه عينى كيلرن تقدحان بالشرر!

أصبح الملك يخاف.. يخاف على حياته، ويخاف ضياع العرش منه، حتى لقد كان يتتبع أنباء التحركات الداخلية لجنود الإنجليز، فلا يكاد يسمع عن أى تحرك من تحركاتهم، حتى يؤوله بأنهم يقصدونه به، وأنهم يعتزمون أزاحته عن العرش مثلما أزاحوا من قبل بعض أسلافه..!

وكان تصرفه الواحد فى كل مرة من هذه المرات، هو أن يترك قصره، ويهرب إلى انشاط.. وكان أنشاط كانت بعيدة عن دبابات الإنجليز!!

وإذن فقد أصبح الملك ألعوبة فى أيدى الإنجليز، ولم يعد فى استطاعتنا أن تعول عليه فى شئ من خططنا.. بل لعل الأسلم كان أن نعتبره..من الأعداد...

وهكذا، ذهبت مع الأعداء، صفوف الوفد وصفوف السعديين، وقوة الملك.

ولم يبق فى الميدان ألا قوة الأخوان.

هل نستعين بهم.. وهل نعول عليهم؟

عاودت اتصالى بالمرحوم حسن ألبنا، وأنا هارب من المعتقل... وتبسط معى حسن ألبنا بصورة لم تسبق له من قبل.. فرغم كل الصلات التى قامت بينى وبينه كنت أشعر دائما أنه يقول شيئا، ويخفى فى نفسه أشياء..

ولكنه فى تلك المرة، تبسط كثيرا وشرح كثيرا، وأفاض كثيرا...ثم.. ثم كلفنى بأمر!

شرح لى حسن ألبنا متاعبه التى تأتيه من ناحيتين:

ناحية الملك.. وناحية الأجانب...

وقال لى أن الملك قد بدأ يشعر شعورا قويا بخطورة دعوة الأخوان، لما كان يسمعه من أن دعوتهم تقوم على أن يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة وقال لى أن الملك يدبر أمره ليبطش بهذه الحركة، وأنه يخشى أن يضرب الملك ضربته، والحركة لم تبلغ بعد أوج قوتها....

العملاق الذى لا يقهر

وكانت هذه أول مرة يفصح فيها حسن ألبنا عن شعوره بعدم وصول دعوته إلى ذروة القوة والمناعة.. فقد كان دائما يعطى سامعه صورة للجماعة، أشبه بصورة العملاق الذى لا يقهر ولا يخشى عليه...

واستطرد بعد ذلك إلى ذكر طرف آخر من متاعبه، وكان هذا الطرف، هو موقف لأجانب من الدعوة...

فقد بدأ يشعر بأن الأجانب أيضا يرهبون دعوته، ويعتقدون أنها إذ تقوم على وجوب الأخذ بشريعة الإسلام ستتعرض حتما لأعمالهم وأموالهم، وحرياتهم الممنوحة لهم بمقتضى القانون السائد، والدستور..

وقال لى أن هذه النظرة الموحدة إلى دعوته، من جانب الملك، ومن جانب الأجانب، تجعل الدعوة فى خطر جسيم، فما أيسر أن تتحول هذه النظرة الموحدة إلى تحالف عمل للقضاء على الدعوة، وعلى الجماعة التى تدعو إليها.. ويومئذ لا يعرف من أين تصوب إليه الضربات!

واستمعت إليه، منصتا، ومناقشا.. ثم رأيته يطرق فجأة يستجمع كلمات معينة، يريد أن يبدأ بها حديثا جديدا...

وبدأ حديثه الجديد...

قال لى أنه يريد أن يضع حدا لهذه المتاعب، وأنه يعتقد أن الأجانب يمكن أن يطمئنوا إلى الدعوة، أو أطمان إليها الملك...

ونظر فى عينى طويلا وهو يقول:

أنا أستطيع أن أكسب طمأنينة الملك، لو تقابلت معه...

وكان وجهه ينبئ فعلا عن الثقة الكبيرة التى تملأ نفسه بقدرته على كسب طمأنينة الملك.

وظهرت هذه الثقة أكثر وأكثر، وهو يصف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفسه جميع الأوهام والشكوك لو تيسرت له مقابلته...مرة واحدة!

ثم أوضح لى أنه لا يريد مع الملك سياسة وفاق، ــو تعاون.. ولكنه يريد أن يشبع جوا من الطمأنينة فى نفس الملك، يجنب به سفينة الأخوان أية عقبات تعترض الطريق.

وقصد ــ رحمة الله إلى هدفه بعد ذلك مباشرة، فقال لى: أنت تعرف يوسف رشاد...

قلت له: نعم... أعرفه، وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة.

فقال: ويوسف اليوم ذو خطوة، فلو استطعت أن تشرح له هدفى.. وأن تفهمه أنى لست خطرا على الملك، ولا أريد أن أكون خطرا، لامكنه إقناع الملك بمقابلتي...

وأجبته أنا: أحاول...!

ومضت فى تلك الليلة، أبحث الأمر بينى وبين نفسى.. هل أقوم بهذه الوساطة، وكيف أقوم بها.. وما مدى ما يمكن أن يترتب عليها. وكنت إذ ذاك لا أزال هاربا أعيش متنكرا، واتحاشى الظهور فى أى مكان ولكنى مع ذلك.. ذهبت إلى يوسف رشاد... وابلغته رسالة حسن ألبنا، فناقشني فيها، ثم وافق على أن يلعب هذا الدور.

الملك يخشى وكيل الوزارة

وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى: لقد فاتحت الملك فى هذا الأمر، فى محادثة تليفونية بينى وبينه وإذا به يقطع حديثى قطعا ويوجهه وجهه أخرى.. وقابلته بعد ذلك فقال لى:

- **كيف تكلمنى تليفونيا فى أمر كهذا، ألا تعلم أن حسن رفعت يراقب التليفونات؟!**

ودهشت أنا عند سماع هذه الكلمة.. فقد فهمت منها أنه يخشى المراقبة، حتى من حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية المصرية!

وعادوت الإلحاح على يوسف رشاد بعد ذلك وفى هذه المرة، استطلع يوسف أن يحصل على أذن من الملك، بأن يقابل هو أولا حسن ألبنا، ويستمع غليه.. وينقل حديثه إلى الملك ليرى أن كان يقابله..

وكدنا نحدد موعد المقابلة بين حسن ألبنا ويوسف رشاد.. وفى أحد الأيام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون وكان الملك هو المتكلم.. واستمع يوسف لحظات قصيرة.. ثم قال حاضر.. وانتهت المكالمة.. ونظر إلى يوسف وقال لى: أن الملك يقول:

- الغ كل ما قلته لك بشأن حسن ألبنا..

ويئست أنا من المحاولة، وخصوصا أنى كنت أقوم بها فى حالة تنكرى واختفائى.. وأبلغت حسن ألبنا بيأسى...

ومرت أيام.. وسقطت الأحكام العرفية، وبدأت أظهر من جديد.

اتحاد الكلمة

وكنت فى بيتي بعزبة النخل فى إحدى الليالي، عندما أقبل حسن ألبنا، ومعه المرحوم محمود لبيب، فتناولا معى طعام العشاء...

وأخذ حسن ألبنا يتحدث عما يمكن أن تجنبه البلاد إذا ما أتحدث الكلمة، وهدأت شكوك الملك فى الأخوان.. ولكنه كأن فى هذه المرة شديد التحفظ يكتفى بالتلميح عن التصريح، لوجود المرحوم محمود لبيب...

وفهمت أنا أنه يريد منى أنم أعاود الكرة، والح فى تدبير مقابلة له مع الملك.. فلمحت له بدورى، بانى سأفعل...

وفى اليوم التالى، قصدت إلى الإسكندرية، فقد كان الملك هناك فى تلك الأيام، وكان يوسف رشاد إلى جانبه، وتحدثت مع يوسف رشاد فى الأمر وأقنعته بمعاودة المحاولة.

وبذل يوسف رشاد جهدا كبيرا مع الملك...

وضحى فى سبيل ذلك تضحية.. كانت كبيرة فى ذلك الوقت!

فقد غضب منه الملك، واقصاه عن صحبته عشرة أيام طوال.. وعندما عاد يقربه، قال له: إياك أن تفاتحنى مرة أخرى فى هذا الموضوع!

إخلاص حسن ألبنا!

وللتاريخ بعد ذلك أذكر، أن الملك فى يوم من الأيام، قد دعا إليه يوسف رشاد، وطلب منه أن يتصل بحسن ألبنا، وأن يستمع إلى ما كان حسن ألبنا يريد أن يقوله له..

والتقى يوسف رشاد بحسن ألبنا وتحدث معه ثلاث ساعات.. وقال لى يوسف رشاد، أنه خرج من هذه المقابلة، مقتنعا تماما بخصوص نية حسن ألبنا نحو الملك.. وأنه ذهب إلى الملك فنقل إليه كل شئ...وإذا به يفاجأ بالملك يقول له: حسن ألبنا ضحك عليك!!

وحاول يوسف رشاد أن يدافع عن نفسه، وأن يقنع الملك بأنه ليس الساذج الذى يضحك عليه الناس.. ولكن الملك ضحك ضحكته المشهورة. وأعاد جملته: حسن ألبنا ضحك عليك..

هذا ما قاله لى يوسف رشاد...

وقال لى أيضا بعد ذلك بأعوام، أن الملك فى أواخر عهد إبراهيم عبد الهادى قال له:

- **أحنا غلطنا فى ضربة الأخوان.وحقنا نرجع لسياستنا القديمة..**

الله أعلم!

وسالت يوسف رشاد، وما هى السياسة القديمة؟... فقال:

صدقنى.. أنا لا أدرى... ولكن يبدو أن صلة أخرى قد حدثت بين حسن ألبنا وبين الملك عن طريق غير طريقى.. وأن الملك قد أتخذ لفترة قصيرة خلال عام 1946 موقفا معنا من الأخوان... ثم عدل عنه بعد حرب فلسطين..

قال لى ذلك.. ثم قال: والله أعلم...

هذه هى العناصر التى كانت فى الأجواء خلال الفترة بين عامى 1945و 1946 وفى هذه الفترة، كان جمال عبد الناصر قد بدأ خططه الجديدة.

www.anwarsadat.org